

نشأة القصة القصيرة في السعودية

رياض أحمد واني المدني*

قبل الحديث عن بدايات القصة القصيرة في السعودية لابد من إلماح عجلي إلى الحركة الأدبية الحديثة في المملكة العربية السعودية التي يرى عدد من الباحثين وفي مقدمتهم الدكتور منصور الحازمي أن بدايتها الفعلية كانت مع بدايات العهد السعودي في الحجاز من (١٣٤٤هـ/١٩٢٤م إلى ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) إذ تمثل هذه الفترة الولادة الحقيقية للأدب الحديث في بلادنا لما واكب ذلك العهد من انفتاح تدريجي على العالم الخارجي، ووضع الأسس لنهضة فكرية وعمرانية شاملة، ونشر للتعليم، وتشجيع للصحافة وفتح مساحات أوسع لحرية التعبير، أما في أواخر العهد العثماني، وطيلة العهد الهاشمي فقد كانت البلاد تعيش فيما أصطلح عليه بمصطلح عصور الضعف، ولم يحتل الأدب مكانة تذكر في صحافة هذين العهدين، فخلال العهد التركي كان الأدب غريباً أعجمياً، وخلال العهد الهاشمي كان الأدب مشغولاً بالسياسة^(١).

لقد وجد أدباؤنا أنفسهم بعيدين بمسافات عن أقرانهم في البلاد العربية المجاورة، خصوصاً مصر والشام، ووجدوا هذا العهد السعودي الجديد يفتح أمامهم الأبواب المغلقة، ويتيح لهم حرية لطالما حلموا بها خلال العهود السابقة، ويشجع الصحافة، وينشر التعليم؛ فبدأوا بأخذ زمام المبادرة وهم يتنادون باسم الأدب، ويمس بعضهم بعضاً، فملؤوا الصحف بكتاباتهم الأدبية، وسعوا إلى التاريخ لهذا الأدب رغم ضآلة محتواه وقصر امتداده الزمني، وتسابقوا في عرض نتاجهم على بعض أساطين الأدب في مصر والشام ليحصلوا على اعتراف به، وهكذا فتح العهد السعودي الجديد مساحات واسعة أمام الأدباء، فأتاح لهم نشر إنتاجهم إما على شكل كتب، مثل: (أدب الحجاز) لمحمد سرور الصبان، و(خواطر مصرحة) لمحمد حسن عواد،

* باحث الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها جامعة كشمير، سرينغر

و(المعرض) لمحمد سرور الصبان وأما من خلال الصحف التي صدرت وكانت ذات هوية أدبية مثل صوت الحجاز، والمنهل، والمدينة المنورة وغيرها، وقد أتاحت الصحافة دخول فنون جديدة كالمقالة والقصة بعد أن كان الشعر هو المسيطر^(٢).

إذن فقد ولدت القصة القصيرة في هذه المرحلة. مرحلة ما بين الحربين العالميتين. في أحضان الصحافة، ولكنها ولادة متعثرة ومولود خداج لم يكتمل نموه، ولم تتضح ملامحه كما يشير إلى ذلك جل الباحثين الذين تحدثوا عن بدايات القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية^(٣).

ولعل أشهر المحاولات القصصية وأولها: (على ملعب الحوادث) لعبد الوهاب أشي التي نشرت في كتاب (أدب الحجاز) الذي جمعه محمد سرور الصبان، ونشره عام (١٩٢٦م) وفيها يصور وطنه الحجاز على هيئة فتاة جميلة تتحدث إلى أبيها الشيخ المهتم وتعي به التاريخ أو الماضي تشكو إليه بؤس الحاضر، وتتحسر على الماضي الجميل الذي بناه السلف وهدمه الخلف بأسلوب مثقل بالسجع على غرار لغة المقامات وأسلوبها.

ويتزامن مع هذه المحاولة محاولتان أخريان لمحمد حسن عواد نشرتا في كتابه (خواطر مصرحة) الأولى بعنوان: (الزواج الإجباري)، والثانية بعنوان: (الحجاز بعد ٥٠٠ سنة)، حاول في الأولى الدعوة إلى إصلاح أمور الزواج ملمحاً من خلال أحداث القصة إلى ضرورة التحري عن المقدم على الزواج قبل الارتباط، فالفتاة التي زوجها والدها لأول خاطب دون أخذ رأيها اكتشفت بعد زواجها بأن زوجها متفلت، كثير السهر والغياب عن البيت مما أدى بها إلى الانحراف والوقوع في الرذيلة ثم الانتحار^(٤) ويرى الدكتور الحازمي أن هذه القصة تخلو من المعالجة الفنية، ويبدو أن العواد تأثر ببعض القصص العربية أو المعربة ذلك لأنها بعيدة كل البعد عن البيئة الحجازية التي أراد أن يصلح بعض عيوبها، فلعب البليارد ولم يكن معروفاً أو وارداً في تلك الفترة^(٥). أما محاولة العواد الثانية (الحجاز بعد ٥٠٠ سنة)، فهي قصة خيالية على هيئة رسالة تبعث بها فتاة في الثامنة عشرة من عمرها اسمها (ساعدة) تعمل رئيسة معمل

الزجاج بجدة الجديدة إلى أخمها في مدينة الوثام التي تبعد عن مكة ١٦٠ كم، وفيها يتنبأ الكاتب بازدهار حضاري كبير في الحجاز بعد خمسة قرون^(٦).

وتوالى المحاولات بعد ذلك قليلة ومتباعدة^(٧) ومن هذه المحاولات قصة (الابن العاق) لعزير ضياء التي نشرت في صحيفة صوت الحجاز عام (١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م)، وقصة (في الراديو) لأحمد السباعي ونشرت أيضاً في (صوت الحجاز) عام (١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م)، وقصة (عقل عصفور) لمحمد حسن كتي ونشرت أيضاً في صوت الحجاز عام (١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) وقصة (حياة ميت) لحسين سرحان، التي نشرت في صحيفة (صوت الحجاز) عام (١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م)، وقصة (رامز) لمحمد سعيد العامودي التي نشرت في صحيفة (صوت الحجاز) عام (١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م)، وحنفشعيات حمزة شحاته عن حماره التي كان ينشرها خلال هذه الفترة أيضاً في صحيفة صوت الحجاز والتي يرى الدكتور منصور الحازمي أنها أنضج ما نشر في تلك المرحلة من المحاولات القصصية التي اتخذت من الحيوان وسيلة لنقد الإنسان.

ومن المحاولات أيضاً التي نشرت في تلك الفترة، قصة (رجل من الناس) لحسين سرحان وقد نشرت في المنهل عام (١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م)، وقصة (الميراث) لمحمد سعيد العامودي ونشرت أيضاً في (المنهل) عام (١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م).

وقد ظهر في هذه المرحلة أربعة كتب مهمين اثنان منهما من الوافدين إلى المملكة، وهما أحمد رضا حوحو من الجزائر، ومحمد عالم الأفغاني من بلاد الأفغان والأخران سعوديان وهما "محمد أمين يحيي"، و"محمد علي مغربي" ولعل ما يجعلهم من الكتاب المهمين في هذه المرحلة، أن كتاباتهم القصصية كانت أكثر قرباً من مفهوم القصة القصيرة، وأكثر عناية بعناصرها البنائية^(٨) وإن لم تصل إلى القصة الفنية المكتملة. كما أنهم لم يكتفوا بعمل واحد أو عمليين، بل نشروا أكثر من ذلك مما يدل على أن القصة القصيرة كانت خيارهم الأدبي الذي اختاروه، وأرادوا أن يبرزوا فيه.

فأحمد رضا حوحو نشر إحدى عشرة قصة في مجلة (المنهل) ابتداء من عام (١٣٥٦ هـ وحتى عام ١٣٦٠ هـ)، وهي على التوالي (الانتقام، نبل، ابن البحيرة، الأديب

الأخير، الضحية، جريمة حماه، الكفاح الأخير، أدباء المظهر، صنيعه البرامكة، الواهم، فاتح^(٩)، ومحمد عالم الأفغاني، نشر أربع قصص في مجلة (المنهل) ابتداء من عام (١٣٥٨هـ) حتى (١٣٦٠هـ) وهي على التوالي: (الثأر، طائران. (إلى القمر، عودة سعيد، صورة من خيال الصيف في المدينة المنورة)^(١٠).

ومحمد أمين يحيي نشر عدداً من القصص خلال هذه المرحلة وهي (الوفاء) ونشرت في جريدة (صوت الحجاز) عام (١٣٥٦ هـ) و(العيد) نشرت في جريدة (المدينة المنورة) عام (١٣٥٦ هـ)، (ودموع السعادة) ونشرت في مجلة (المنهل) عام (٣٥٧ هـ)، و(دموع العيد) نشرت في مجلة (المنهل) عام ١٣٥٩ هـ وكذلك نشر محمد علي مغربي عدداً من القصص، منها (المتريفة) نشرت في مجلة (المنهل) عام (١٣٥٧ هـ) و(الوفاء) ونشرت بعد شهر من نشر القصة السابقة في جريدة (صوت الحجاز) و(اعتراف) التي نشرت في (المنهل) عام (١٣٥٨ هـ) و(ملابسه المسروقة) التي نشرت في (المنهل) عام (١٣٥٨ هـ).^(١١)

هذه أبرز المحاولات القصصية التي نشرت في فترة ما بين الحربين العالميتين. والناظر في هذه المحاولات القصصية يتبين له ما يلي:

أولاً: أن أغلب هذه المحاولات القصصية نشرت في الصحافة وخصوصاً عبر صحيفة (صوت الحجاز) ومجلة (المنهل) وبذلك فهما أهم مصادر القصة القصيرة في مرحلة النشأة.

ثانياً: مشاركة أغلب الأدباء السعوديين في تلك المرحلة على اختلاف فنونهم التي يبدعون فيها في الكتابة القصصية وهم في الغالب لا يعرفون أصولها الفنية ولا قواعدها التقنية، وكأن المسألة بالنسبة لهم كانت مجرد إثبات للذات، وإثبات لحضور هذا الفن في أدبهم وحضورهم فيه أسوة بالأدب والأدباء في البلدان العربية المجاورة التي سبقتهم إليه؛ لذلك سنجد الشاعر والمؤرخ و كاتب المقالة وغيرهم، لكل واحد منهم محاولة أو محاولتين قصصيتين خلال هذه الفترة. فترة ما بين الحربين. وأغلبهم عاد إلى منه الذي يتقنه وترك القصة.

ثالثاً: كانت هناك فترات زمنية متباعدة بين المحاولات القصصية المنشورة خلال هذه الفترة، فبعد (على ملعب الحوادث) لعبد الوهاب آشي، و (الزواج الإيجاري) لمحمد حسن عواد عام (١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م) مر زمن طويل لتبدأ بعده المحاولات المتصلة عبر صحيفة صوت الحجاز بقصة (الابن العاق) لعزيز ضياء عام (١٣٥١ هـ) وبعدها سيحمل كل عام قصة واحدة أو قصتين على الأكثر حتى نصل إلى عام (١٣٥٥ هـ) هو العام الذي صدرت فيه مجلة المنهل ليزداد العدد قليلاً، ويصبح هناك نوع من التتابع القريب في نشر القصص القصيرة. وهذا يشير إلى بطء حركة القصة القصيرة في تلك الفترة، وربما كان هذا البطء في الحركة، من أهم العوامل التي أخرت تطور القصة القصيرة فترة طويلة على الرغم من البداية المبكرة لها؛ ولعل ذلك راجع إلى مكانة القصة نفسها، فقد كان الفن القصصي كما يقول الدكتور الحازمي: (١٢) "يعيش في بلادنا في مرحلة ما بين الحربين على هامش الأدب كما هو حاله في معظم البلدان العربية، كان الشعر سيد الفنون لأسباب تاريخية، والمقالة مادة الخطاب الإعلامي، فارتقى الشعر وتقدمت المقالة، وانزوت القصة مهملة في ثياب رثة لم يسأل أحد عنها إلا قلة من المحسنين. كعبدالقدوس الأنصاري وأحمد رضا حوحو. الذين شعروا بأهميتها لا كفن أدبي متميز، بل كوسيلة مؤثرة في تليين القلوب وفي بث النصيح وتقديم المواعظ" (١٣).

رابعاً: على الرغم من تميز بعض هذه المحاولات الأولى واقترابها بصورة أكبر من مفهوم القصة القصيرة، خصوصاً في كتابات أحمد رضا حوحو، ومحمد عالم الأفغاني، ومحمد أمين يحيي، ومحمد علي مغربي، ومحمد سعيد العامودي فإن السمة الغالبة على مجمل الإنتاج خلال هذه المرحلة، هي غلبة المضمون على الجانب الفني، إذ حاز المضمون على اهتمام الكتاب بصورة أكبر مما لقيه الأسلوب القصصي والبناء الفني. كما يقول الدكتور محمد الشامخ. ولعل ذلك راجع إلى مجموعة من الأسباب يأتي في مقدمتها سيطرة الهدف الإصلاحي على كتابها، فكثير منهم كان ينظر إلى القصة على أنها وسيلة حديثة يجب أن تستغل لتحقيق هذا الهدف التربوي في المجتمع. (١٤)

هذا بالإضافة إلى أن أغلب الكتاب خاضوا غمار هذه التجارب متأثرين بمحصولهم القرائي القليل في هذا الفن في تلك الفترة دون أن يتعرفوا على أدوات القصة القصيرة الفنية، وطرائقها وأساليبها، وقد كانت في تلك الفترة ما تزال في بداياتها حتى في مراكز الثقافة العربية كمصر والشام؛ ولذلك فإن الضعف الفني الذي صحب تجاربهم كان مصدره ضعف المعرفة وضعف الخبرة، كما أن غياب النقد الفني العارف بأصول هذا الفن، الذي يحاور النصوص ويقف على مواطن القوة والضعف فيها ويوجه الكتاب إلى ذلك في أعمالهم، ويربط إنتاجهم بأصول هذا الفن. هذا الغياب النقدي. أسهم في أن تظل تلك الكتابات القصصية خلال فترة ما بين الحربين أسيرة المحاولات المتعثرة، وغير قادرة على التطور، وتجاوز مرحلة التجربة إلى طور أكثر فنية.^(١٥)

وإذا كانت المرحلة الأولى لم تشهد أي تطور فني، وظلت أسيرة المحاولات المتعثرة ولم تصدر خلالها أي مجموعة قصصية، فإن المرحلة الثانية (ما بعد الحرب العالمية الثانية) قد شهدت تطوراً ملحوظاً، وتبدت ملامح القصة القصيرة الفنية واضحة لدى كثير من كتاب هذه المرحلة. وخرجت من إسار النشر في الصحافة فقط إلى دائرة النشر المتخصص عبر مجموعات قصصية غامر أصحابها بنشرها في وقت كانت فيه الطباعة شحيحة في الداخل، ومكلفة في الخارج.

ويرجع عدد من الباحثين تطور القصة القصيرة في هذه المرحلة إلى مجموعة من العوامل يأتي في مقدمتها الاستقرار السياسي، والانتعاش الاقتصادي، والتغيرات الاجتماعية التي حدثت تبعاً لذلك فقادت البلاد والمجتمع نحو النمو الحضاري، إضافة إلى انتشار التعليم، وعودة المبتعثين للدراسة في الخارج إلى بلادهم مزودين بالعلم والمعرفة، والرغبة الجامحة في تطوير بلادهم، والأهم من كل ذلك تطور الصحافة وازدهارها واهتمامها الخاص بالقصة القصيرة إذ خصصت معظمها أبواباً ثابتة للقصة القصيرة، وشجعت على كتابتها ونشرها بطرائق متعددة ومتنوعة كالمسابقات، أو وضع النهايات الممكنة لقصص تنشر وتبقى حاجة إلى إكمال، ونحو ذلك من الوسائل

المشجعة على كتابة القصة القصيرة، إضافة إلى نشر المقالات النقدية الموجهة إلى القصة القصيرة. وترجمة نماذج من القصص العالمية.^(١٦)

ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة صدور مجموعات قصصية مطبوعة على الرغم من صعوبة الطباعة في ذلك الوقت^(١٧)، وأول مجموعة قصصية صدرت هي مجموعة (أريد أن أرى الله) لأحمد عبد الغفور عطار، عام (١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م) ثم تلتها مجموعة (مع الشيطان) لإبراهيم هاشم فلالي، عام (١٣٧١هـ / ١٩٥١م) ثم مجموعة (من بلادي) لغالب حمزة أبو الفرج عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) ثم مجموعة (أنات الساقية) لحسن عبد الله القرشي عام (١٣٧٦هـ / ١٩٥٥م) ثم مجموعة (الحنينة) و(الأذن تعشق) لأمين سالم الرويحي عام (١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م)، ثم مجموعة (فاطمة وقصص أخرى) لعبد السلام هاشم حافظ عام (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ثم مجموعة (شبح من فلسطين) لسعد البواردي، عام (١٣٨١هـ / ١٩٦١م)، ثم مجموعة (أمهاتنا والنضال) لإبراهيم الناصر، عام (١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) ثم مجموعة (عرق وطن) لعبد الرحمن الشاعر عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) ثم مجموعة (خالتي كدرجان) لأحمد السباعي (د.ت)، ومجموعة (حياة جائعة) لعبد الله الجفري (د.ت) لكن على الرغم من هذا العدد من المجموعات القصصية التي صدرت، وعلى الرغم من العدد الكبير من القصص القصيرة التي شرت في تلك الفترة والتي بلغت المئات، وطرقت مختلف المضامين مبشرة بتطور القصة نحو الصياغة الفنية^(١٨) فإن هذه الفترة لم تسلم أيضاً من النماذج التي تستدر الدموع وتدغدغ العواطف كما في مجموعة (أنات الساقية) للشاعر حسن القرشي، أو تلك التي تسعى إلى التسلية والإثارة كما هو الحال في مجموعتي أمين سالم والرويحي (الحنينة) و(الأذن تعشق).

ومع ذلك فإن ظهور عدد من الكتاب المهمين في هذه المرحلة، الذين فهموا فن القصة فهماً صحيحاً أمثال: أحمد الساعي وإبراهيم الناصر، ومحمود عيسى المشهدي، وحمزة بوقري وعبد الرحمن الشاعر، يجعل هذه المرحلة تمثل البداية الحقيقية لفن القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية؛ وهذا ما جعل الدكتور

منصور الحازمي يقول بأن ظهور هذا العدد القليل من الكتاب الذين فهموا القصة فهماً صحيحاً يجعلنا نقول بأننا كنا حينذاك على أبواب عهد جديد.^(١٩) وهو الأمر الذي دفع الدكتور الشنطي إلى أن يسمى هذه المرحلة بمرحلة الريادة الفنية، ويسمي هؤلاء الكتاب بالرواد^(٢٠). وإذا كان سحبي الهاجري لم يشير إلى أن السباعي من رواد القصة القصيرة بمفهومها الفني، فإن الدكتور الحازمي وكذلك الدكتور الشنطي يريان بأن السباعي رائد الاتجاه الواقعي في القصة السعودية وأنه بحسه المرفه هو الذي مهد الطريق أمام ظهور القصة الفنية بمفهومها الدقيق.^(٢١)

ليستفيد هؤلاء الكتاب الأربعة (حمزة بوقري، وإبراهيم الناصر، ومحمود المشهدي، وعبد الرحمن الشاعر) من هذا التمهيد قافزين بالقصة القصيرة في السعودية نحو الصياغة الفنية، متأثرين بأقرانهم في العالم العربي، وقراءتهم في الآداب العالمية، واحتكاكهم المباشر بالحركة الأدبية المواراة في بعض البلاد العربية المجاورة، فحمزة بوقري عايش ازدهار القصة القصيرة في مصر أثناء دراسته في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأعد أطروحته للماجستير عن رائد من رواد القصة القصيرة في العالم العربي وهو محمود تيمور، وترجم نصوصاً كثيرة إلى العربية لعدد من الكتاب العالميين، وإبراهيم الناصر عاش شطراً من حياته في العراق، وتأثر بالأجواء الثقافية هناك، ومحمود المشهدي درس في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وقضى شطراً من حياته في أمريكا، وعبد الرحمن الشاعر واكب عن طريق القراءة تطور القصة القصيرة عربياً وعالمياً.^(٢٢)

لقد تركت هذه المؤثرات بصمتها في نفوس هؤلاء الكتاب، وانعكست على إنتاجهم القصصي، فكان لكل واحد منهم خصائصه المميزة، ولكنهم جميعاً اشتهروا في اهتمامهم بالجانب الفني اهتماماً واضحاً وسعوا إلى تحقيق "الالتحام بين الشكل والمضمون، فلم يعد المضمون فكرة مسبقة مفروضة على القصة، ولكنهم اقتربوا من النجاح مرة، وتعثروا مرات، حتى بدا مع تقدم الزمن، وتكرار التجارب أن الأمر قد بدأ يستقيم لهم في أغلب القصص التي شكلت قبل نهاية هذه المرحلة أرضية صلبة

للقصة القصيرة في المملكة، وأصلّت لهذا الفن الأدبي ليحتل مكانته بين بقية الفنون الأدبية". (٢٣)

الحواشي:

- (١) د. منصور إبراهيم الحازمي: فن القصة في الأدب السعودي الحديث، دار ابن سينا للنشر، ط٣/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٧١
- (٢) فن القصة في الأدب السعودي، ص ٧٧
- (٣) د. محمد الشامخ: النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، دار العلوم بالرياض ط ٣، ١٩٨٣م
- (٤) فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ص ٨٨
- (٥) سحبي الهاجري: القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، نادي الرياض الأدبي، ط ١، ص ٦١
- (٦) فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ص ٨٨
- (٧) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، ص ٦١-٦٢
- (٨) فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ص ٨٧،٩٠
- (٩) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، ص ١١٨.
- (١٠) المصدر السابق، ص ١٤٦،١٤٧
- (١١) المصدر السابق، ص ١٥٩،٢٠٩
- (١٢) د. منصور الحازمي: الوهم ومحاور الرؤيا، دار المفردات، الرياض ط ١ (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، ص ١٦٧
- (١٣) المصدر السابق، ص ١٦٧
- (١٤) أميرة الزهراني: القصة القصيرة السعودية في كتابات الدارسين العرب، دار ابن سينا، ص ٩-٨
- (١٥) المصدر السابق، ص ٩
- (١٦) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية (١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م)، ص ٢٢٧
- (١٧) المصدر السابق، ص ٤٦١-٤٦٢
- (١٨) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، ص ٢٢٧

- (١٩) الوهم ومحاور الرؤيا، ص ١٦٨
- (٢٠) د. محمد الشنطي: في الأدب العربي السعودي، دار الأندلس، حائل، ط٤ (١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م) ص٣٠٨
- (٢١) المصدر السابق، ص ٣٠٨، وانظر فن القصة في الأدب السعودي الحديث، ص ١١٠
- (٢٢) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، ص ٣١٥ وانظر في الأدب العربي السعودي، ص ٣١٣
- (٢٣) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، ص ٣١٦